سلسلة المقالات

المنهجية

(٣٤)

# بين الباطل والإبطال

وَقَّعَهُ

الباحث الدكتور/عيد أبو السعود الكيَّال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده ﷺ أمَّا بعد:

فهذه مقالة في بيان الفرق بين الباطل والإبطال، من خلال جملة من المفاهيم والمعاني:

**قال ابن منظور في «لسان العرب» (١/ ٣٠٢- ٣٠٣) مادة (بطل):**

«بطل الشيء يَبْطل بُطْلًا وبطولًا وبطلانًا: ذهب ضَياعًا وخُسْرًا، فهو باطِلٌ وأبطله هو، ويقال: ذهب دمه بُطلًا وبَطْلًا؛ أي: هدرًا، وبطل في حديثه بطالة وأبْطل: هَزَل، والاسم البُطَلُ.

والباطل: نقيض الحق، والجمع أباطيل، ورجل بطَّال: ذو باطل، وقالوا: باطل بين البطول، وتبطّلُوا بينهم تداولوا الباطل، والتَبطُّلُ: فِعْل البطالة وهو: اتباع اللهو والجهالة.

وقالوا: بينهم أُبْطولة يتبطّلون بها؛ أي: يقولونها ويتداولونها.

وأبطلت الشيء: جعلته باطلًا، وأبطل فلانًا: جاء بالكذب وادَّعىٰ باطلًا، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

والباطل هنا: إبليس، أراد ذو باطل أو صاحب الباطل.

قال ابن الأثير: أراد بالباطل: صياغة الشعر واتخاذه كسبًا بالمدح والذم.

وبطل الأجير -بالفتح- يبطل بَطالة أي: تعطل فهو بطَّال» اهـ.

**وقال الرَّاغب الأصفهاني في: «المفردات في غريب القرآن» (٥٠- ٥١):**

«الباطل نقيض الحق وهو مالا ثبات له عند الفحص، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقد يُقال ذلك في الاعتبار إلىٰ المقال والفِعال، يُقال: بطل بُطُولًا وبُطْلًا وبُطْلانًا وأبطله غيْرُهُ، قال تعالىٰ: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨]، وقال: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

ويُقال للمستقلّ عمَّا يعود بنفع دنيويّ أو أخروي بطَّال، وهو ذو بطالة.

● والإبطال يُقال في إفساد الشّيْءِ وإزالته حقًّا كان ذلك الشيءَ أو باطلًا، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨].

وقد يُقال فيمن يقول شيئًا لا حقيقة له، نحو: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]؛ أي: الذين يبْطلون الحق». اهـ.

**وقال شيخ المفسرين أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسيره: «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (٢٤/ ١٢٣- ١٢٤): عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت: ٤١، ٤٢]:

«قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وإنَّ هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز اللَّه إيَّاه، وحِفْظِهِ مِنْ كل مَنْ أراد له تبديلًا، أو تحريفًا، أو تغييرًا، من إنسيٍّ أو جِنِّيٍّ.

[٣٠٦٠٧] حدثنا . . . . . عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ يقول: أعزَّه اللَّه لأنَّه كلامه، وحَفِظَهُ مِنَ الباطل.

[٣٠٦٠٨] حدثنا . . . . عن السدّي: قال: عزيز من الشيطان.

[٣٠٦٠٩] حدثنا . . . عن سعيد: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ قال: النكير من بين يديه ولا من خلفه.

[٣٠٦١٠] حدثنا . . . . عن قتادة: الباطل: إبليس، لا يستطيع أن ينقص منه حقًّا ولا يزيد فيه باطلًا.

[قال الطبري:]

«وأوْلىٰ الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أنْ يُقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيْء من معانيه عمَّا هو به؛ وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه مصالحهم ﴿حَمِيدٍ﴾ يقول: محمود علىٰ نعمه عليهم بأياديه عندهم». اهـ.

**وقال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ١١٦):**

«قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾؛ أي: منيع الجناب لا يرام أن يأتي أحدٌ بمثله، ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنّه مُنزَّل من ربِّ العالمين، ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾؛ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنىٰ محمود؛ أي: في جميع ما يأمر به وينهىٰ عنه، الجميع محمودة عواقبه وغاياته». اهـ.

**قلت:** يعني محمودة عواقبه فيما يأمر به وينهىٰ عنه، والأوامر والنواهي هي أصل العبادة والطاعة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

**قال أبو عبد اللَّه القرطبيِّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٧٩- ٢٨١):**

«اللَّبس: الخلط، لبست عليه الأمر أَلْبَسه، إذا مَزَجت بينه بمُشْكِلِه وحقه بباطله، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وفي الأمر

لُبْسةَ؛ أي: ليس بواضح ومن هذا المعنىٰ قول عليّ ﷺ للحارث الأعور: يا حارث إنّك امرؤٌ ملبوس عليك -وفي رواية- ملبَّس عليك، إنَّ الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.

وقالت الخنساءُ:

ترىٰ الجليسَ يقول الحقَّ تحسبه رُشْدًا وهيهات فانظر ما بهِ الْتَبَسا
صَدِّق مقالته واحذر عداوته والْبس عليه أمورًا مثل ما لَبَسَا

وقال العجَّاج:

لما لبسْن الحق بالتَّجَنّي غِنِين واستبدلن زيدًا مِنِّي

واختلف أهل التأويل في المراد بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾؛ فروي عن ابن عباس وغيره: لا تخلطوا ما عندكم من الحق في الكتاب بالباطل، وهو التغيير والتبديل، وقال أبو العالية: قالت اليهود: محمد مبعوث ولكن إلىٰ غيرنا، فإقرارهم ببعثه حق، وجحدهم أنه بعث إليهم باطل. . . .

**قلت**: وقول ابن عباس أصوب، لأنه عام يدخل فيه جميع الأقوال، واللَّه المستعان». اهـ.

● **وقال عبد الرحمن بن ناصر السعديِّ في: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان» (ص: ٥١):**

«فنهاهم عن شيئين: عن خلط الحقّ بالباطل، وكتمان بيان الحق؛ لأنَّ المقصود من أهل الكتاب والعلم تمييز الحق من الباطل وإظهار الحق؛ ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع إلىٰ الحق الضالون، وتقوم الحجّة علىٰ المعاندين؛ لأنَّ اللَّه فصَّل آياته، وأوْضح بيّناته؛ ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، فمن عمل بهذا من أهل العلم فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبسَّ الحق بالباطل فلم يُميّز هذا من هذا مع علمه بذلك، وكتم الحقّ الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنّم؛ لأنَّ النَّاس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدىٰ الحالتين». اهـ.

● **بل نقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق:**

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

**قال القرطبيّ في: «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ١٥٢):**

«القذف: الرَّمي؛ أي: نرمي بالحق علىٰ الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾؛ أي: يقهره ويهلكه، وأصل الدمغ: شجّ الرأس حتىٰ تبلغ الدماغ، ومنه الدَّامغة.

والحق هو القرآن والباطل الشيطان في قول مجاهد، قال: وكل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان.

وقيل: أراد بالحق الحجّة، وبالباطل شبههم، وقيل: الحق المواعظ، والباطل المعاصي، والقرآن يتضمن الحجّة والموعظة ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾؛ أي: هالك وتالف». اهـ.

**قال السَّعدي في: «تفسيره» (ص: ٥٢٠):**

«يخْبر تعالىٰ أنَّه تكَفَّل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإنَّ كلَّ باطلٍ قيل وجودل به، فإنَّ اللَّه ينزّل من الحقَّ والعلم والبيان ما يدمغه فيضمحل، ويبيّن لكل أحد بطلانه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾؛ أي: مضمحلّ فانٍ.

● وهذا عام في جميع المسائل الدينيّة، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل، أو ردّ حق، إلَّا وفي أدلة اللَّه من القواطع العقلية والنّقلية، ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه، فإذا هو متبيّن بطلانه لكل أحد.

● وهذا يتبين باستقراء المسائل مسألة مسألة؛ فإنّك تجدها كذلك». اهـ.

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

**قال السعديّ في: «تفسيره» (ص: ٧٤٣):**

«وما كان لأحد من الرّسل ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ من الآيات السمعيّة والعقلية ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بمشيئته وأمره، فاقتراح المقترح علىٰ الرسل الإتيان بالآيات ظلم منهم وعنتّت وتكذيب، بعد أنْ أيَّدهم اللَّه بالآيات الدالّة علىٰ صدقهم وصحة ما جاؤوا به ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ﴾ بالفصل بين الرسل وأعدائهم والفتح ﴿قُضِيَ﴾ بينهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي يقع الموقع، ويوافق الصواب بإنجاء الرُّسل واتباعهم، وإهلاك المكذبين؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾؛ أي: وقت القضاء بالحق ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ الذين وَصْفُهُمُ الباطل وما جاؤوا به من العلم والعمل بالباطل، وغايتهم المقصودة لهم باطلة، فليحذر هؤلاء المخاطبون أن يستمرّوا علىٰ باطلهم فيخسروا كما خسر أولئك، فإنَّ هؤلاء لا خير منهم، ولا لهم براءة في الكتب بالنَّجاة». اهـ.

- **خلاصة المقالة وفوائدها:**

**قلت**: فإذا كان ذلك كذلك، فاعلم: أنَّ الباطل والإبطال والمبطلين، لا يزول بطلانهم إلَّا بالعلم من البيّنات والحجج والبراهين والدلائل والأدلة والحقائق التي أنزلها اللَّه علىٰ رسوله ﷺ؛ وقد بلَّغ وبيَّن وفصَّل حتىٰ أكْمل اللَّه له هذا الدين وأتمَّ النعمة علىٰ العالمين، فقد قال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فليس ثَمَّ إلَّا العلم النافع من الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، والمعتقد الصحيح الحق -بعيدًا عن التكلُّف والمحدثات من الأمور والإفراط والتفريط-

والسير علىٰ منهج الوسطية القيّمة المعتدلة، التي لا زيغ فيها، ولا ميل، ولا انحراف، ولا شطط، بل التمسك بمقاصد الشريعة وضوابطها وأركانها، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

روىٰ مسلم في «صحيحه» **(٢٧٢٢)** من حديث زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلَّا كما كان رسول اللَّه ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن، والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنِّي أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**».

وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين.

**وقَّعَهُ**

**الباحث الشرعيِّ الدكتور/ عيد أبو السّعود الكيَّال**